أبيدوس (Abydos)

جامعة سوهاج | العدد الثالث (٢٠٢١م)، ص ص: ٢٦٥ - ٢٨٢ | كلية الآثار

مصليتان للمسلمين في مقبرتين مصريتين قديمتين بجبل أسيوط الغربي

Two Mussalahs (Muslim Prayer Halls) in Two Ancient Egyptian Tombs in the Western Mountain of Assiut

أ. د. عبد الناصر ياسين

أستاذ الآثار والفنون الإسلامية، بقسم الآثار الإسلامية، بكلية الآثار- جامعة سوهاج، وعضو البعثة المصرية الألمانية المشتركة العاملة في جبل أسيوط ومستشارها لشئون الآثار الإسلامية والقبطية.

Prof. Abdenasaer Yassen

Professor of Archeology and Islamic Arts, Department of Islamic Archeology, Faculty of Archeology - Sohag University; Member of the Egyptian-German joint Mission Working in the Mountain of Assiut, And its Advisor for Islamic and Coptic Antiquities Affairs.

Email: yasyen1@yahoo.com

الملخص:

يوجد بجبل أسيوط الغربي عدة مقابر مصرية قديمة محفورة في الصخر، احتوت مقصورة مقبرة منها على أشكال وزخارف وكتابات منفذة بالحز أو النقر، منها شكل محراب تتدلى منه مشكاة، وعلى يمين المحراب بائكة يتدلى من مفاتيح بعض عقودها أشكال مشكاوات، وظهرت في هذه المقصورة أيضًا كتابات عربية منها كلمتي "الله" و"محمد"، هذا فضلاً عن عدة أسماء لأشخاص. وقد تبين من الدراسة أن نقش المحراب والبائكة يرمزان إلى مصلى، وأن أسماء الأشخاص لحجارين كانوا يعملون بجبل أسيوط الغربي فيما بين القرنين ١٣ و١٤هـ/ ١٩- ٢٠م، وثمة مقبرة أخر في هذا الجبل بداخلها رسوم وكتابات عربية، منها رسم لمحرابين منفذين باللون الأحمر، هذا فضلاً عن كتابات منتشرة داخل المقبرة، منها آيات من القرآن الكريم منفذة باللون الأحمر، وعدة أسماء لأشخاص منفذة بالحز. ويشير المحرابين والآيات القرآنية الكريمة إلى أن هذه المقبرة استعملت كمصلى غالبًا من قبل حجارين أيضًا فيما بين القرنين ١٣- ١٤هـ/ ١٩- ٢٠م، وأن الأسماء المنفذة بالحز في المقبرة لأشخاص زاروا هذه المقبرة التي استعملت كمصلى في فترات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: محراب، بائكة، مشكاة، مصلى، مسجد، رمز، كتابات عربية، القرآن الكريم، الله، محمد، المغربي، الحجار، محاجر، محزوزة، محفورة، منقورة، اللون الأحمر، اللون الأسود.

Abstract

There are several ancient Egyptian rock-cut tombs excavated in the Western Mountain of Assiut. The compartment of one of these tombs contains designs, ornamental motifs and writings executed by incising or pitting. These include the design of a mihrab (prayer niche) from which a mishkah (lantern) hangs down; to the right of the mihrab there is a arcade that lantern designs hang from the keys of some of its arches. Some Arabic inscriptions also appear in this compartment, including the words "Allah" and "Muhammad", in addition to several names of other people. The study showed that the mihrab and the arcade symbolize a musallah (prayer hall); and that the names inscribed there belonged to the stonemasons who worked in the Western Mountain of Assiut between the 13th and 14th centuries AH and the 19th and 20th centuries AD. On the other hand, there is another tomb in this mountain which has Arabic drawings and inscriptions, which include a drawing of two red mihrabs; in addition to some writings scattered along the walls of the tomb, including verses from the Noble Qur'an written in red, and several names of some people executed by grooving. The mihrabs and the Noble Qur'anic verses indicate that this tomb was often used as a musallah (prayer hall) by stonemasons between the 13th and 14th centuries AH and the 19th and 20th centuries AD; and that the names carved on the tomb belonged to some people who visited this tomb, which was used as a musallah (prayer hall) at different times.

Keywords: Mihrab, Arcade, Mishkah, Musallah, Mosque, Symbol, Arabic Inscriptions, the Holy Qur'an, Allah, Muhammad, El Maghrpy, Stonemason, Quarries, Grooved, Engraved, Pitted, Red Color, Black Color.

الموقع، وتاريخه:

تقع المقابر المصرية القديمة التي أُعيد استخدام بعضها كمصليات للمسلمين، في التلال الصخرية الكائنة بالجبل المتاخم لمدينة أسيوط من جهة الغرب (جبل أسيوط الغربي)، ويرتفع هذا الجبل حوالي ٢٠٠ مترًا فوق سطح البحر، وتُعرف هذه المنطقة بأسماء متعددة أشهرها "إسطبل عنتر"، و"جبل الكافرين"، و"جبل الحفارة" (حفارة المقابر)[١].

[١]- **عن** الأسماء الأخرى التي أُطلقت على تلك المنطقة مثل: "جبل الكفار"، و"جبل الكافرين"، وغير ذلك. راجع، **Kahl, J.,** Ancient Asyut: The First Synthesis after 300 Years of Research, the Asyut Project I, Wiesbaden, 2007, p. 59.

والمقابر المصرية القديمة المشار إليها محفورة في الصخر، وتضمن حوائط بعضها نقوشًا وتصاوير مصرية قديمة ترجع إلى عصري الانتقال الأول والدولة الوسطى، كما تم الكشف في أرضيات وآبار الدفن في بعضها عن لقى أثرية مصرية قديمة معاصرة للفترتين السابقتين، هذا إلى جانب لقى أخرى من فترات زمنية لاحقة ترجع إلى العصرين اليوناني والروماني، كما تم الكشف فيها عن كثير من المنتجات الفخارية القبطية، هذا فضلاً عن بعض المعثورات الإسلامية، والتي من أهمها مجموعة كبيرة من اللقى الفخارية والخزفية.

وكثير من هذه المقابر المصرية القديمة أُعيد استخدامها كمحلات إقامة وتعبد من قِبل بعض النساك المسيحيين؛ وذلك قبل العصر الإسلامي[١]، وربما استمر هذا الحال –بصورة أو بأخرى- في العصر الإسلامي كذلك[٢].

ولم تكن منطقة المقابر المصرية القديمة بجبل أسيوط الغربي بمعزل عن الحضارة الإسلامية من ناحية، وعن الحكم الإسلامي من ناحية أخرى، فبالإضافة إلى المعثورات الإسلامية المختلفة التي اكتُشفت فيها، فيوجد كذلك في الجهة الشمالية منها ضريح يُعرف باسم ضريح "الشيخ أبو طوق"[٣] وبالقرب منه توجد مقابر المسلمين التي تسمى الجبانة، والتي ترجع إلى فترة تشييد الضريح[٤]، وعلاوة على ذلك فمن المؤكد أنه لما كانت تلك المنطقة متاخمة لمدينة أسيوط، فقد تأثرت في فترات بعينها خلال العصر الإسلامي ببعض الأحداث السياسية والعسكرية التي كانت تشهدها أسيوط، بمعنى أنه كان بها تواجد إسلامي بصورة أو بأخرى.

وبدون الدخول في تفاصيل يضيق مجال البحث عن سردها، فإن ما عُثر عليه في هذه المنطقة من لقى خزفية إسلامية كثيرة مؤكد نسبة معظمها إلى العصر المملوكي[٥]، وما عُثر عليه أيضًا من

١- Kahl. J., Ancient Asyut, p. 71. ومن المعروف أن أسيوط لعبت دورًا بارزًا في تاريخ المسيحية خلال العصر البيزنطي. **راجع، بديوي (محمد أحمد محمد):** الأحداث السياسية والحياة الحضارية لإقليم أسيوط من الفتح العربي حتى سقوط الدولة الفاطمية، تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج٢، العصر الإسلامي، جامعة أسيوط، ٢٠٠٨، ص. ص٤٢- ٤٤.

٢- لما كان يقع بالقرب من هذه المقابر عدة أديرة ترجع إلى العصر الروماني، واستمرت فترة طويلة في العصر الإسلامي، فمن المرجح أن النساك الذين استخدموا هذه المقابر في العصر الروماني، استخدموها أيضًا –بصورة أو بأخرى- في العصر الإسلامي، أخذين بعين الاعتبار أن هذه المقابر تتضمن تصاوير جدارية وكتابات قبطية، لم تزل تحتاج إلى الدراسة.

٣- يحتاج هذا الضريح إلى دراسة مستقلة، لمعرفة تاريخ إنشائه، وظروف نشأته، وصاحبه.

٤- **كال(يوخيم):** مدينة أسيوط في العصور القديمة، أول مؤلف بعد ثلاثمائة عام من البحث العلمي، ترجمة، محمد عبد الرحيم، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد السابع والأربعين (إصدار خاص)، إبريل ٢٠١٨م، ص١٢٠.

٥- **راجع، ياسين(عبد الناصر)**: اللقى الخزفية الإسلامية المكتشفة في منطقة الجبل الغربي بأسيوط، نشر ودراسة، مجلة الحوليات الإسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، العدد ٤٤، ٢٠١٠م.

مجامر شُبك ترجع إلى أواخر العصر العثماني[١]، هذا فضلاً عن استعمال الجبل كمحجر[٢] فيما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، يؤكد على تواجد المسلمين به بصورة أو بأخرى.

ولدينا مصليتين للمسلمين، في مقبرتين مصريتين قديمتين، بهما كثير من التفاصيل الفنية والاجتماعية وغير ذلك، سنتناولهما على النحو التالي:

أولاً: مصلى في مقبرة جفاي- حابي الأول:

حكم جفاي- حابي الأول إقليم أسيوط في عصر سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشر، ونحت هذا الحاكم مقبرته في المستوى الثاني من الجبل –جبل أسيوط الغربي- وذلك في حوالي سنة ١٩٣٠ ق. م. وتعد هذه المقبرة واحدة من أكبر المقابر غير الملكية بمصر، إذ يبلغ طولها الكلي الآن أكثر من ٥٥م، وتحتوي على عدة حجرات منحوتة في الصخر يبلغ ارتفاعها ١١م، ويتكون الجزء الداخلي من المقبرة من بهو مستعرض في نهايته مقصورة كبيرة[٣].

ويعنينا من أمر هذه المقبرة مقصورتها، التي تقع في نهاية المقبرة على محور مدخل المقبرة. ويوجد في الجانب الغربي للمقصورة باب وهمي كان يضم التمثال الجنائزي لصاحب المقبرة، أما الجانب الشرقي فكان به باب المقصورة وهو محطم حاليًا، أما على الجانبين الشمالي والجنوبي فيوجد بهما قوائم القرابين[٤].

ولفت نظرنا في الجانب الشمالي للمقصورة وجود كتابات عربية محزوزة ومنقورة؛ وقد أمكن قراءة بعضها، ومن بينها أسماء لأشخاص، كما لفت نظرنا في الجانب الجنوبي للمقصورة أشكال وزخارف وكتابات عربية محفور، أمكن قراءة بعضها، إلا أن الأشكال والزخارف كانت في البداية عصية التفسير، وذلك لعدم وضوحها من ناحية، وللترميم الخاطئ الذي شوه بعض معالمها من ناحية أخرى. وتمكنا أخيرًا من كشف غموضها، والربط بينها وبين الكتابات العربية المصاحبة لها وتلك التي على الجانب المقابل لها –الجانب الشمال- وسوف نتناول الكتابات والزخارف المنفذة على الجانبين، وذلك على النحو التالي:

---

[١]- **راجع، ياسين(عبد الناصر)**: مجامر شبك مكتشفة في منطقة الجبل الغربي بأسيوط، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد الخامس عشر، يناير ٢٠١٤م.

[٢]- سوف نتناول هذا الأمر في ثنايا البحث.

[٣]- **كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص١٤٤، ١٤٥.

[٤]- **كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص١٤٦.

الجانب الجنوبي:

تبدأ الزخارف المعنية مع المستوى الأصلي للمقصورة، غير أن المقصورة تنخفض حاليًا عن مستوى الأرضية الأصلية حوالي ١,١٥م. وقد اقتطعت هذه المساحة من الأرضية لاستخدام أحجارها، حين كانت أعمال المحاجر نشطة في جبل أسيوط الغربي.

وتمتد الزخارف على هذا الجانب بطول ٤,٣٦م، وبارتفاع ٢,٢٢م، ويتضمن هذا الارتفاع شريط به كتابات عربية، يبلغ ارتفاعه ٣٩سم (شكل ١، اللوحات ١- ٣).

يوجد على يسار هذا الجانب عقد مدبب يرتكز على عمودين؛ العمود الأيمن منها شبه مكتمل، ويتضمن أشرطة مائلة تعبر عن عمود حلزوني، ولهذا العمود تاج يشبه المشكاة، وتتدلى من النقطة المدببة لهذا العقد مشكاة[١]، ويحيط بمجمل هذه الزخرفة إطار عريض مستطيل الشكل، والزخرفة بوجه عام تعبر عن شكل محراب[٢].

يظهر على يمين المحراب سابق الوصف من أعلى شكل مشكاة، متدلية كالمشكاوات التي تتدلى من العقود. كما تمتد على يمين المحراب بائكة؛ تتكون من أربعة عقود مستديرة الشكل؛ ترتكز على أعمدة، لا نستطيع معرفة تفاصيلها لطمسها أثناء عملية الترميم.

وتتدلى مشكاة من كل عقد من العقدين الثالث والرابع من عقود البائكة. كما نُقشت أشكال مشكاوات أسفل بعض هذه العقود، وهي تظهر فيما بين الأعمدة من أسفل. كما تظهر أسفل بعض هذه العقود كتابات عربية منفذة بالحفر، يصعب قراءة معظمها، وإن كنا نلمح من بينها كلمة "الله"، وكلمة "حضر".

ويعلو البائكة شريط كتابي محفور، يصعب قراءة معظمه، وإن كان يمكن قراءة كلمة "الله"، وكلمة "محمد"، هذا فضلاً عن كلمتي "بسم الله" اللتان تظهران أعلى إطار المحراب، وهي كتابة لينة، تتميز ببساطتها.

ويعلو الكتابة السابقة شريط كتابي محفور، يتضمن نصًا ميسور قراءة بدايته، وهي على النحو التالي: "حضر عمر المغربي[٣]..." (لوحة ٤)، وبعض حروف هذه الكتابة جاف، وبعضها الآخر لين، وهي كتابة بسيطة من الناحية الفنية.

---

[١]- عن المشكاة في الفن الإسلامي ورمزيتها عند المسلمين، راجع، **ياسين (عبد الناصر):** الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، (دراسة في "ميتافيزيقا" الفن الإسلامي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص. ص٢١٩- ٢٢٤.

[٢]- عن المحراب في الفن الإسلامي ورمزيته عند المسلمين، راجع، **ياسين:** الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، ص. ص٢٣٤- ٢٣٧.

[٣]- المغربي: نسبة إلى بلاد المغرب العربي، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا الشخص وافدًا من بلاد المغرب، وقد تكون جذور أسرته مغربية الأصل.

ومما يُلحظ اختلاف أسلوب الكتابات السابقة عن بعضها، هذا فضلاً عن تنوعها، ولعل ذلك يُشير إلى أنها من عمل أكثر من شخص، وبصفة عامة جميعها كتابات بسيطة من الناحية الفنية، تشير إلى أن كُتَابِها ليسو محترفين وخبراء بفن الخط، وإن كانت تُشير إلى أنهم متعلمون، ويعرفون الكتابة، وعلى قدر لا بأس به من تنفيذها، سيما وقد نفذت على الصخر.

(شكل ١)

(لوحة ١)

(لوحة ٢)

(لوحة ٣)

(لوحة ٤)

الجانب الشمالي:

بالقرب من المستوى الأصلي لمقصورة المقبرة، على امتداد ٢,٦٠م عرضًا، وبارتفاع ١,١٠م، تظهر على هذا الجانب كثير من النقوش الكتابية، موزعة على عدة أسطر غير كاملة الانتظام (لوحة٥)، وعلى الرغم من أن كثيرًا من هذه الكتابات عصية القراءة، فما أمكن من قراءته منها له أهمية كبرى، ويمكن قراءة ما تيسر منها على النحو التالي:

١. [....] الأميـ [ن] أو [ر] ....[١].

٢. الله[٢].

٣. [.....][٣] أحمد بن قطب [.....] بسم الله الرحمن الرحيم.

٤. وحضر عثمان أبي ما [....] الحجار بن[٤] (لوحة ٦) [...] وعلي

٥. حضر إبراهيم علي أبي السعـ [....]

كما يظهر بأسفل الكتابات السابقة شكل مشكاة، منقوشة بشكل بسيط كبساطة النقوش الكتابية (لوحة ٧)

(لوحة ٥)

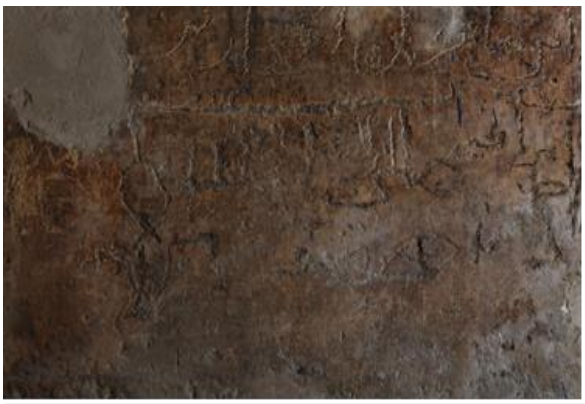

(لوحة ٧)

(لوحة ٦)

[١]- وردت هذه الكلمة في الثلث الأخير من هذا الجانب - جهة اليسار. والحرف الأخير فيها غير مكتمل، لوجود تهتم في الجزء الباقي من الجانب، غير أنه لا محل للاعتقاد غير أنه حرف (ن)، أو حرف (ر). فتكون الكلمة "الأمين"، أو"الأمير".

[٢]- وردت هذه الكلمة بمفردها جهة اليمين

[٣]- ثمة كلمة هنا عصية القراءة، وربما يُخمن أنها: حضر.

[٤]- الحرف قبل الأخير في الكلمة قد يقرأ: (ي)، ولما كان بعدها حرف (ن)، فيقرأ الحرفين الأخيرين: (ين)، فتكون القراءة: (الحجارين...). أما إن كان هذا الحرف قبل الأخير يقرأ: (ب)، فتكون الكلمة مستقلة عن الكلمة السابقة لها، وتقرأ: "بن" كما هو مذكور عليه، و"بن" يقصد بها: "ابن"، حيث يسقط حرف الألف إذا جاءت الكلمة بين اسمين.

والكتابة بصفة عامة لينة، وإن كان يظهر من بين حروفها ما هو مكتوب بأسلوب جاف. كما تتميز هذه الكتابات ببساطتها، وتُشير إلى أن كُتابها ليسو محترفين أو خبراء بفن الخط.

ومما هو جدير بالاهتمام، أنه ورد في هذه الكتابات كلمة "الحجار"، والحجار هو: مكسر الأحجار وناحتها وناقشها، وعمله يدخل ضمن صناع البناء من مهندسين وبنائين ونحوهم. وقد ورد هذا اللفظ في كتابة أثرية بتاريخ سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٤م بضريح خالد بن الوليد في حمص، جاء فيها كتوقيع بصيغة: "نقش عمر الحجار"[١].

وليس لدي من اعتقاد سوى أن الأشكال المنفذ على الجانب الجنوبي من مقصورة هذه المقبرة - والتي تتمثل في المحراب والبائكة ذات المشكاوات- أنها ترمز لمسجد، وأن هذه المقصورة قد استعملت لصلاة أشخاص من المسلمين الذين تواجدوا بالمقبرة وبالقرب منها، وهم بلا شك أولئك الحجارين الذين كانوا يعملون في قطع الأحجار بجبل أسيوط الغربي، وورد ذكرهم ضمن كتابات الجانب الشمالي من المقصورة. والحق أن موقع هذه المقصورة في آخر المقبرة على محور مدخلها، يتيح لها خصوصية انعزالها عن سائر أجزاء المقبرة، ومن ثم فهي مهيأة لإقامة شعائر الصلاة من قبل الحجارين العاملين في المنطقة[٢].

وأعتقد أن الزخارف التي نُفذت بداخل هذه المقصورة، والمتمثلة في المحراب والبائكة والمشكاوات، وكذلك النقوش الكتابية، هي من تنفيذ بعض أولئك الحجارين الذين تواجدوا في هذه المنطقة، واتخذوا من تلك المقصورة مصلى لإقامة شعائرهم بها.

ومن المعروف أن جبل أسيوط الغربي استخدم كمحجر على مدار فترات طويلة، والتوثيق الدقيق لأعمال المحاجر في هذا الجبل يُشير إلى أنها بدأت منذ القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر[٣]، وجدير بالذكر أن مقبرة جفاي- حابي الأول، من المقابر التي تأثرت بفعل أعمال المحاجر التي أجريت في الفترة من ١٧١٤- ١٧٩٩م/ ١١٢٦- ١٢١٤م[٤]، وتكشف الصور الحالية لداخل المقبرة وخارجها (لوحة ٨) عن نشاط قوي لأعمال المحاجر.

---

[١]- **الباشا(حسن)**، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ت، ج ١، ص٤١٧.

[٢]- جدير بالذكر أن ثمة اختلاف بين استعمال المسلمين لهذه المقبرة كمكان للصلاة، عن استعمال المسيحيين لكثير من المقابر في جبل أسيوط الغربي كأماكن إقامة وتعبد لهم، إذ لم يأت المسلمون خصيصًا للإقامة أو الصلاة في هذه المقبرة، بل هم أتوا للعمل في جبل أسيوط الغربي، واستعملوا هذه المقبرة للصلاة في فترة عملهم فقط.

[٣]- **كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص٤٥.

[٤]- **كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص ١٤٥.

لوحة ٨)

ولدينا إشارات كثيرة تفيد بنشاط المحاجر المكثف في جبل أسيوط الغربي، وذلك في فترات زمنية طويلة، ومن ذلك إشارة المهندسان الفرنسيان "رينيه إدوار ديفيليه دي تراج"، و"جان باتيست جوليو" (من علماء الحملة الفرنسية ١٢١٣- ١٢١٦هـ/ ١٧٨٩- ١٨٠١م) إلى أنه "يوجد أسفل الجبل قناة كانت تستخدم لنقل الحجارة، وتمتد هذه القناة إلى بحر يوسف، وتم ربطها بالنيل عبر ممر مائي صغير على بعد مائتين أو ثلاثمائة قدم أسفل مدينة أسيوط"[١].

كما أن ثمة تقرير للرسام وعالم الآثار "نستور لوت" ١٢١٩- ١٢٣٦هـ/ ١٨٠٤- ١٨٢٠م)، أفاد باستمرار أعمال المحاجر في هذا الجبل[٢]، كما أشار الرحالة والسياسي والكاتب الإنجليزي "هنري ويندرسون فيليرز ستيوارت" في عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م إلى تزايد أعمال المحاجر في جبل أسيوط الغربي، وأن الجبل كان عبارة عن كتلة من الحجر الجيري، وأن المقابر ذاتها لم تسلم من التدمير[٣].

واستعمال الأحجار ناتج هذه المحاجر كثيرة، لعل أهمها إنشاء الجسور والقناطر التي انتشرت في أسيوط إبان حكم عصر أسرة محمد علي (١٢٢٠- ١٣٧٢هـ/ ١٨٠٥- ١٩٥٢م)[٤]، هذا فضلاً عن سلسلة مشاريع الري التي قام بها الإنجليز في نهاية القرن التاسع عشر، والتي بدأت منذ عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م بإقامة سلسلة من الخزانات التي اكتمل بنائها عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م[٥].

---

[١]- **كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص٤٨.
[٢]- **كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص٥٣.
[٣]- **راجع، كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص٥١.
[٤]- **علوان(مجدي):** منشآت الري بأسيوط إبان عصر أسرة محمد علي (١٢٢٠- ١٣٧٢هـ/ ١٨٠٥- ١٩٥٢م)، دراسة أثرية، عدد تذكاري بمجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، ضمن بحوث الندوة الدولية في ذكرى العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ السيد عبد العزيز سالم، ٢٠٠٨م، ص. ص١٣٣- ١٧٣.
[٥]- **كال:** مدينة أسيوط في العصور القديمة، ص٥٠.

وعلى ضوء ما تقدم يمكننا القول: إن الحجارين الذين كانوا يعملون في جبل أسيوط الغربي –في مقبرة جفاي حابي الأول وبالقرب منها- اتخذوا من هذه المقبرة مصلى لهم، وقد نقشوا في الجانب الجنوبي من المقبرة محراب وبائكة تتدلى من بعض عقودها مشكاوات، قاصدين بذلك الرمز لمسجد، وقد سجل بعض هؤلاء الحجارين أسمائهم في هذا المكان، وعلى الرغم من بساطة هذه الكتابات، فهي تشير إلى أن من بين هؤلاء الحجارين من هو على قدر من التعليم من ناحية، وعلى الكتابة من ناحية أخرى.

وإذا كانت النواحي الفنية وأسلوب الكتابة لا تعين على تأريخها تأريخًا دقيقًا، فالأرجح أنها ترجع إلى ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، تلك الفترة التي استعمل فيها جبل أسيوط الغربي كمحجر.

ثانيًا: مصلى في مقبرة إيتي- إيبي (إيقر):

تخص هذه المقبرة حاكم إقليم أسيوط إيتي- إيبي (إيقر) الذي عاش على الأرجح في فترة نهاية عصر الانتقال الأول، أو أوائل عصر الأسرة الحادية عشر، وتقع هذه المقبرة في المستوى السابع بالجبل –جبل أسيوط الغربي- وهي منحوتة في الصخر، ويرجع تاريخها إلى حوالي ٢٠١٠- ٢٠٣٠ ق. م، وتحتوي هذه المقبرة على بهو مساحته حوالي ٧×٩ متر، وارتفاعه حوالي ٣متر، وبه عمودان يحملان السقف، وحفر في الجدار الغربي للبهو مقصورة أمامها بئر دفن .

ويقع مدخل المقبرة في الجهة الشرقية، وتظهر على جانبي المدخل من أعلى كتابات عربية منفذة باللون الأحمر، غير أنها عصية القراءة، وعلى محور هذا المدخل من الناحية الغربية توجد المقصورة، وقد اشتمل ضلعها الجنوبي على رسم لمحراب ونقوش كتابية عربية. كما اشتمل الضلع الجنوبي لبهو المقبرة أيضًا على رسم لمحراب ونقوش كتابية عربية (لوحة ٩).

(لوحة ٩)

وسوف نتناول الزخارف والنقوش المنفذة على هذين الجانبين على النحو التالي:

الجانب الغربي:

يشتمل هذا الجانب من المقبرة على المقصورة، ورسم في الضلع الجنوبي منها محراب بسيط منفذ بلون أحمر، ويتكون هذا المحراب من عمودين يعلوهما عقد أقرب إلى الشكل المدبب. وقد انتشر في هذه الناحية كتابات عربية دقيقة الحجم بعضها منفذ رسمًا، وبعضها الآخر منفذ حزًا، وجميعها كتابات لينة بسيطة، تلاشى كثير منها، وصعب قراءة كثير منها (لوحة ١٠).

ومنها كتابة محزوزة على العمود الأيمن للمحراب، تقرأ: حضر محمد أحمد. وعلى يمين العمود نفسه كتابة منفذة بالحز أيضًا، تقرأ: حضر صالح و[...]. وكتب بالحز أيضًا في محراب العقد من الناحية اليسرى: "... المصري". وعلاوة على ذلك فقد انتشرت كثير من الكتابات داخل المحراب ذاته، فوق أرضية حمراء أصلية من زمن المقبرة، وهذه الكتابات موزعة بشكل عشوائي، وهي دقيقة جدًا في حجمها منفذة بالحز في هيئة أقرب إلى المخربشات، وأمكن منها قراءة: "حضر أبو بكر"، "الفقير عبد الله"، "عيسى"، "محمد"، حضر محمد"، "حضر ..."، "... عبد الرحمن".

ويظهر على الجانب الأيسر لعقد المحراب نص كتابي منفذ بلون أسود، يقرأ:

١. بسم الله الرحمن الرحيم
٢. حضر .... والحلفاوي وعلي ...

٣. ... علي

٤. وعلى ...

٥. وعلى جميع المسلمين

ومما لا شك فيه أن الكتابات السابقة، سواء المنفذة بأسلوب الحز أو المنفذة باللون الأسود، مضافة إلى رسم المحراب، وليست أصيلة، وهي لأشخاص زاروا هذه المقبرة في فترات مختلفة، وسجلوا أسمائهم بها.

وعلاوة على الكتابات السابقة فيظهر في الضلع الغربي للمقصورة نص كتابي منفذ باللون الأسود، اشتمل على خمسة أسطر، ثلاثة منها تلاشت، وبقيت بقايا كتابات في السطرين الأول والأخير، في السطر الأول منهما: إن كان أعطى الزمان سعادته ... أما السطر الأخير فتظهر بقايا حروف كلمتين يصعب قراءتهما، وهي أيضًا كتابة مضافة من قبل أشخاص زاروا هذه المقبرة، ولا صلة لها بالمحراب.

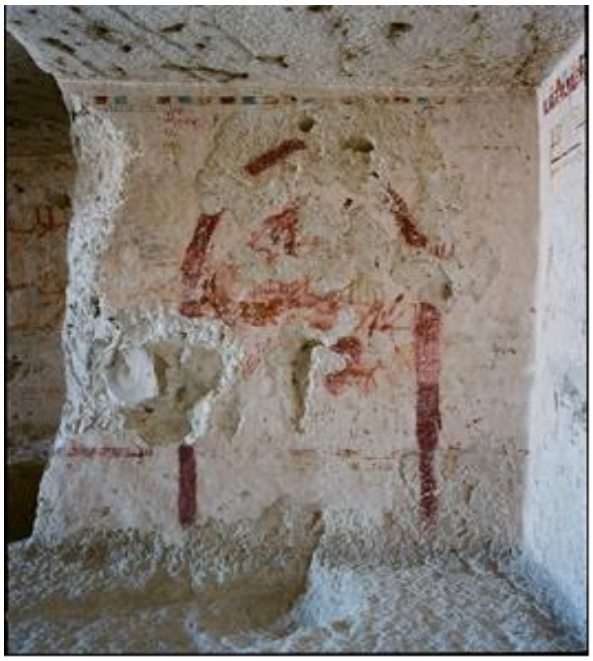

(شكل ١٠)

الجانب الجنوبي:

ظهر على الضلع الجنوبي (الذي في المواجهة) بهذا الجانب محراب ضخم مرسوم باللون الأحمر، يبدأ من أعلى مستوى الأرضية بقليل، ويصل إلى نهاية هذا الضلع من أعلى، وقد امتد طرف عقد المحراب متخطيًا نهاية هذا الضلع واصلاً للسقف ذاته.

ويتكون هذا المحراب من عمودين تمتد نهايتهما لتشكلان عقدًا مدبب الشكل، وبأسفل العمودين يمتد شريط بلون أحمر –لون المحراب نفسه- بأسفله شريط آخر أحمر اللون، غير أن الشريط الأخير أصلي بالمقبرة.

وتنتشر بداخل المحراب وعلى جانبيه كتابات عربية كثيرة منها ما هو منفذ رسمًا بلون أحمر كالمحراب، ومنها ما هو منفذ بالحز، ومنها ما هو منفذ بالحفر.

وعلى جانبي المحراب تظهر كتابات من القرآن الكريم منفذة كالمحراب باللون الأحمر (لوحة١١)، وهي على النحو التالي:

١. (على يمين المحراب) الله نور السماوات والأرض . (على يسار المحراب) الله خير حافظًا [وهو أرحم الراحمين].
٢. على يمين المحراب: الله لا إله إلا هو الـ [حي القيوم لا تـ] أخذه سنـ/ـة ولا نوم له ما في السماوات (لوحة ١٢)، على يسار المحراب: وما في الأرض من ذا الذي [يشفع عنده] إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلـ (لوحة ١٣) ـفهم ولا [يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء] وسع كرسيه (لوحة ١٤).

ومما يُلحظ أن الكاتب لم يكتب السورة القرآنية بشكل كامل في الضلع المواجه الذي به المحراب، فكتب "الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنـ" في الضلع الأيمن، ثم أكمل "ـة ولا نوم له ما في السماوات" في ضلع المواجهة الذي به المحراب، ثم اتجه إلى يسار المحراب وكتب: "وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم ما خلف"، ولم يتسع هذا الضلع لتكملة كلمة "خلفهم"، فاتجه إلى الضلع الأيسر وكتب "ـفهم"، واستمر في الكتابة، ولم يتسع هذا الضلع لتكملة السورة، فاتجه ناحية مدخل باب المقبرة وكتب كلمتي: "وسع كرسيه".

(لوحة ١١)

(لوحة ١٢)

(لوحة ١٣)

(لوحة ١٤)

ومما يُلحظ أنه على الرغم من أن الكتابات منفذة بشكل غير منسق أو متوازن، إلا أنها لا تخلوا من بعض ملامح الجمال والتأنق في كثير من مواضعها، مما يستدل منه أن كاتبها له معرفة لا بأس بها بفن الخط.

وإذا كانت كلمة :الحجار"، أو الحجارين" التي وردت في كتابات مقبرة "جفاي- حابي الأول"، عرفتنا بأن من اتخذ هذه المقبرة للصلاة هم الحجارين الذين كانوا يعملون بقطع الأحجار في الجبل – جبل أسيوط الغربي- فلا مؤشر لدينا حول كينونة الأشخاص الذين اتخذوا من هذه المقبرة –مقبرة "إيتي- إيبي- (إيقر)"- مكانًا لصلاتهم، والحق أن مجرد تخمين ذلك أمر محفوف بالمخاطر، غير أن

أعمال المحاجر وصلت للمستويات العليا من ذلك الجبل الذي به هذه المقبرة، فهل عمال هذه المحاجر اتخذوا من هذه المقبرة الموجودة في المستوى السابع من الجبل مكانًا لصلاتهم؟

ربما كان الأمر كذلك. آخذين بعين الاعتبار، أن أسلوب تنفيذ محرابي وكتابات هذه المصلى في هذه المقبرة، تختلف عن الأسلوب المتبع في زخارف مصلى مقبرة "جفاي- حابي الأول"، إذ كانت منفذة بالحفر والنقر في مقبرة "جفاي- حابي الأول"، وهذا لا يتطلب تجهيزات خاصة، إذ أن تنفيذها يتم بأي آلة حالة، توافرها ميسر بالنسبة لعمال المحاجر. أما في مقبرة "إيتي- إيبي- (إيقر)"، فلم يستعمل أسلوب الحفر أو النقر، واستعمل أسلوب الحز والنقش بلون أسو في كتابات قليلة وفي مساحات ضيقة، في حين أن رسم المحرابين والآيات القرآنية وسورة الكرسي، نفذت بالفرشاة وبلون أحمر، مما يعني أن هذه الأدوات والمواد الخام جيء بها خصيصًا لتنفيذ هذه الرسوم الكتابات القرآنية، لتجهيز هذه المقبرة كمصلى للمسلمين الذين تواجدوا بالقرب من المقبرة.

وفي ضوء ما تقدم يُمكننا القول: إن المحرابين والآيات القرآنية وسورة الكرسي في مقبرة "إيتي- إيبي- (إيقر)" تدل على أن بعض المسلمين اتخذوا من هذه المقبرة كمصلى، ويصعب الجزم بكينونة هؤلاء الأشخاص وتاريخ اتخاذ المقبرة كمصلى لهم، وإن كان من غير المستبعد أن يكونوا من الحجارين الذين عملوا في جبل أسيوط الغربي خلال القرنين ١٢- ١٣ه/ ١٨- ١٩م. أما فيما يتعلق بالأسماء التي وردت في المقبرة فهي لأشخاص زاروا المقبرة وسجلوا أسمائهم عليها، ويصعب التعرف عليهم وعلى تاريخ زياراتهم لها، فهي منطقة كانت محلاً للزيارات في فترات طويلة مختلفة، وربما تكشف الأيام عن بعض المعلومات المتعلقة بهم.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- **الباشا(حسن)**، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ج ١، د. ت.
- **ياسين (عبد الناصر):** الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، (دراسة في "ميتافيزيقا" الفن الإسلامي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٦م.

ثانياً: الدوريات العلمية:

- **بديوي (محمد أحمد محمد):** الأحداث السياسية والحياة الحضارية لإقليم أسيوط من الفتح العربي حتى سقوط الدولة الفاطمية، تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج٢، العصر الإسلامي، جامعة أسيوط، ٢٠٠٨م.
- **علوان(مجدي):** منشآت الري بأسيوط إبان عصر أسرة محمد علي (١٢٢٠- ١٣٧٢هـ/ ١٨٠٥-١٩٥٢م)، دراسة أثرية، عدد تذكاري بمجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، ضمن بحوث الندوة الدولية في ذكرى العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ السيد عبد العزيز سالم، ٢٠٠٨م.
- **كال(يوخيم):** مدينة أسيوط في العصور القديمة، أول مؤلف بعد ثلاثمائة عام من البحث العلمي، ترجمة، محمد عبد الرحيم، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد السابع والأربعين (إصدار خاص)، إبريل ٢٠١٨م.
- **ياسين(عبد الناصر):** مجامر شبك مكتشفة في منطقة الجبل الغربي بأسيوط، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد الخامس عشر، يناير ٢٠١٤م.
- **.....:** اللقى الخزفية الإسلامية المكتشفة في منطقة الجبل الغربي بأسيوط، نشر ودراسة، مجلة الحوليات الإسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، العدد ٤٤، ٢٠١٠م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- **Kahl, J., Ancient Asyut:** The First Synthesis after 300 Years of Research, the Asyut Project I, Wiesbaden, 2007.